الأثر

مجلة تراثية فصلية محكمة

المجلد التاسع عشر العدد الثاني ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م

الطبري تحصيله الثقافي

تاريخ الفن الاسلامي

WWW.ATTAWEEL.COM

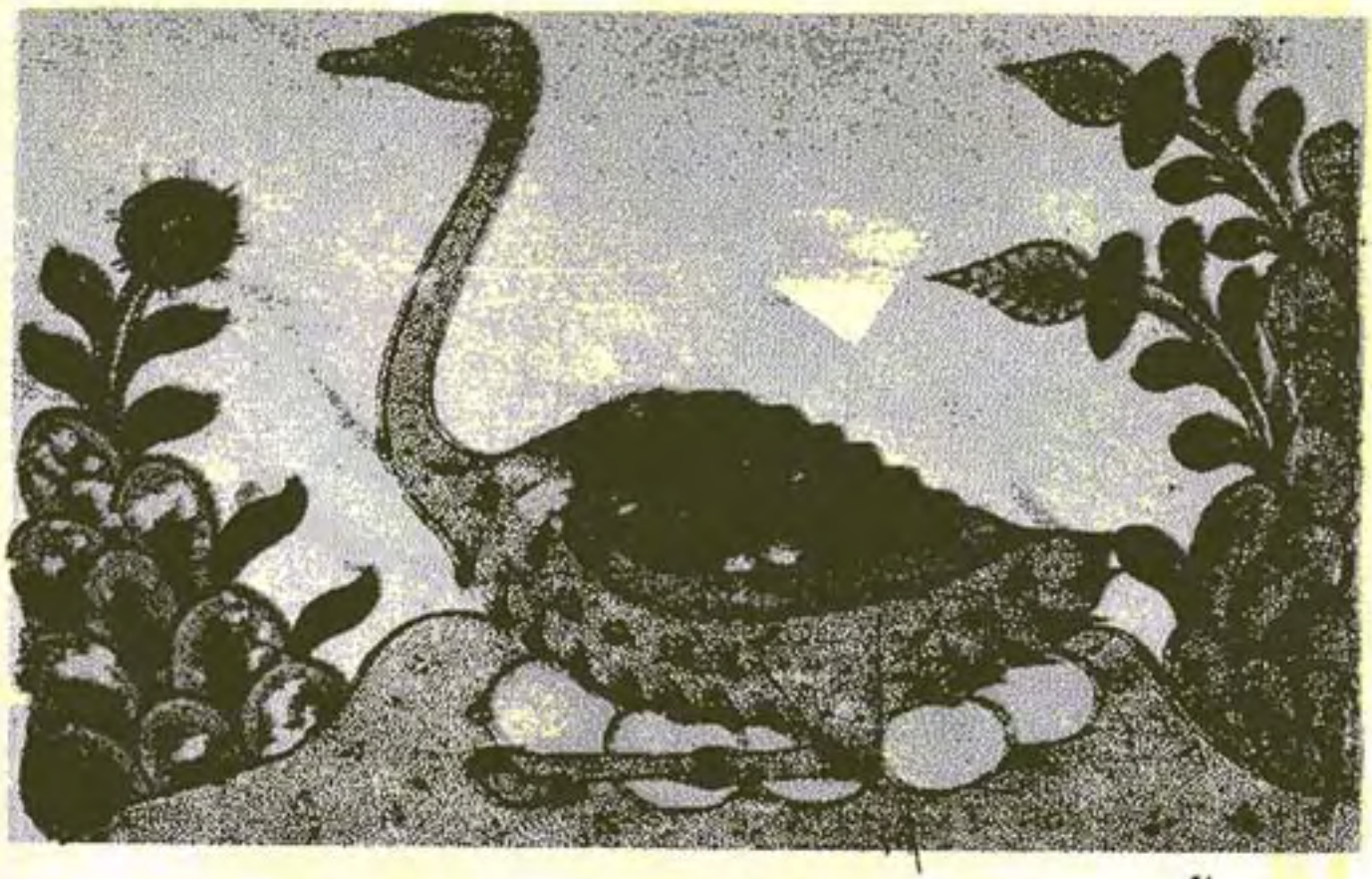

أسعد الديب محمد

مطمح الأنفس ومسرح التأنس
في بحوث الدارسين

احمد اسماعيل النعيمي

كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

لقد حظي ادبنا العربي في الاندلس بعناية الباحثين والدارسين من العرب والمستشرقين على السواء ، وذلك لما لهذا الادب من اصالة وقيمة فنية كانت قد تركت آثارها في نفوس الادباء المشرقيين والمغربيين عصرئذ .

وعلى الرغم من الطموح الذي ننشده من الدراسات الحديثة ، في رفدنا بكل ما هو جديد أو مبتكر في اطار هذا الادب بخاصة ، فإننا كثيراً ما نحظى بدراسات تكاد تكون تكراراً لسابقاتها ، في تناولها ظواهر بعينها اشبعت بحثاً واستقصاءً ، وهذا ما يجعل جهود الدارسين تذهب سدىً ، اذ كان الأولى بهم تسخيرها في البحث عن ظواهر جديدة لم تنل من اهتمام المتقدمين ، أو الخروج بنتائج لم يتوصل اليها احد من قبل .

وربما يوجد هناك مستدرك على طرحنا متذرعاً بأن زوايا النظر المختلفة الى الموضوع الواحد قد تفيد في بعض الاحايين ، لما تحمله من اضافات في هذا الجانب أو ذاك . واذا سلمنا بمثل هذا الاستدراك ، وتقبلناه ، فإننا لا يمكننا ان نغض النظر عن اولئك الذين ترجب الإمانة العلمية عليهم ان يشيروا الى جهود الاخرين ، وما قدموه من دراسات ، مقرونة بنقد علمي موضوعي لها ، مع بيان الدوافع التي حدت بهم الى تناول تلك الموضوعات من قبلهم .

× × × ×

اسوق هذه المقدمة الموجزة وبين يدي دراستان مختلفتان منهجاً ومادةً واسلوباً ، اختصتا بتحقيق كتاب الفتح بن خاقان الاندلسي المتوفى (سنة ٥٢٩ هـ) الموسوم بـ « مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس » ، احداهما قامت بها الباحثة (هدى شوكة بهنام) بتحقيقها هذا الكتاب ونشره في اعداد مجلة المورد الصادرة خلال سنتي ١٩٨١ - ١٩٨٢ ، فقد نشرت القسم الأول منه (بعدد المجلة الثاني من عام ١٩٨١) ثم اتبعته بالقسم الثاني في العددين الثالث والرابع من العام نفسه ، اما القسم الثالث (الاخير) فتوزع على اعداد المجلة (الاول ، والثاني ، والثالث) من عام ١٩٨٢ .

ثم عمدت الباحثة بعد ذلك الى جمع الاعداد التي نشر فيها تحقيق الكتاب المذكور آنفاً ، واودعته لدى (دار الفضول في بيروت) بغية طبعه كتاباً ، وكان لها ما ارادت ولكن بعد مضي قرابة خمس سنوات ، أي ان الكتاب رأى النور في طبعته الأولى عام ١٩٨٩ بحسب ما هو مثبت في صدر صفحاته الاول .

اما الدراسة الاخرى فهي تعود الى الباحث (محمد علي شوابكة) من القطر الاردني الشقيق ، وقد طبعت في (دار عمار - مؤسسة الرسالة) في بيروت - ١٩٨٣ .

وبذلك يتضح لنا من هو السابق ومن هو اللاحق (زمنياً) ، ثم اننا لا يمكننا ان نشك في عدم اطلاع الباحث (شوابكة) على اعداد مجلة المورد التي تحرص هيئة التحرير على ايصالها الى الأقطار العربية كلها ، فضلاً عن دول العالم ، وقد دأبت على ذلك منذ زمن بعيد ، واذا لم يتسن للباحث الاطلاع عليها ، فترجع اطلاع اساتذة الجامعات الاردنية عليها ، وهم الذين ينشرون بحوثهم فيها بين الفينة والاخرى ، ومما هو معروف ان كثيراً من الاساتذة يبادرون الى توجيه طلبتهم الى

ما ينشر من الكتب والبحوث المتعلقة بالموضوعات التي يبحثون فيها ، انطلاقاً من كون السيد (شوابكة) قد حصل على شهادة (الدكتوراه) نتيجة لتحقيقه هذا الكتاب . اننا نقول قولنا هذا بدافع خلو المقدمة التي كتبها المحقق من الاشارة لا من قريب ولا من بعيد الى من قام بتحقيق الكتاب نفسه قبله لا بل انه يعلن صراحةً في بعض اسطر مقدمته ان دافعه في تحقيق هذا الكتاب هو « قلة المصادر المحققة المنشورة في هذه الفترة » [ص ٨] .

وحين نمضي الى تصفح الدراستين نطالع تشابهاً في جميع مفردات المنهج المتبع في التحقيق ، فكلتا الدراستين انفردت بمحورين رئيسين ، تكفل الأول : بدراسة سيرة المؤلف وحياته وشخصيته ، واخلاقه واسلوبه ، وادبه (شعره ونثره ، وآثاره) ، لا سيما منها (قلائد العقيان) . اما المحور الثاني : فقد عني بالكتاب نفسه من حيث نسخه ، والنسخ المعتمدة في التحقيق ، والمنهج المتبع في التحقيق ، ليفضي هذا المحور الى نص الكتاب المحقق .

ومن الجدير ذكره ان الباحثة (هدى) قد اعتمدت على خمس نسخ ذكرت تفاصيلها تحت عنوان (نسخ المطمح) ، وقد اشارت الى ثلاث منها بوصفها الاصل المعتمد عليه ، اما الباحث (شوابكة) فقد اتخذ نسخة سماها « نسخة رئيس الكتاب ـ التي رمز لها بالرمز (ص) اصلاً لبقية المخطوطات » بعد ان اعتمد على ست نسخ ، فضلاً عن المصادر المطبوعة لبعض المؤلفات الاندلسية ، أي بزيادة نسختين عن النسخ التي وصلت الى يدي الباحثة (هدى شوكة) . وحين نطالع نص الكتاب المحقق ، نجد تطابقاً تاماً في المتون ، في كلا التحقيقين ، وما ذلك الا دليل على تشابه النسخ التي اعتمد عليها الباحثان ابرزها « النسخة المطبوعة في القسطنطينية ، مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ هـ » . فعلى سبيل المثال لا الحصر . . . ما جاء في خطبة مؤلف كتاب (مطمح الانفس) اذ يقول في بعض اسطرها ، مشيراً الى الاقسام التي تضمنها كتابه أو (مُؤلَّفه) بما نصه « . . . واملیت منها في بعض الأيام ، ثلاثة اقسام (القسم الاول) يشتمل على سَرْد غُرَر الوزراء ، وتناسق دُرَر الكتاب والبلغاء ، (القسم الثاني) يشتمل على محاسن اعلام العلماء ، واعيان القضاة والفقهاء ، (القسم الثالث) يشتمل على سرد محاسن الادباء النوابغ النجباء ، وسميتها « مطمح الانفس ، ومسرح التأنس ، في ملح اهل الاندلس » وابقيتها لذوي الآداب ذكراً ، ولأهل الاحسان فخراً ، يساجلون به اهل العراق ، ويُحاسنون بمحاسنها الشمس عند الاشراق ، والله اسأله المرام المقصد ، وانفراج الموصد ، بمنّه وكرمه » ، هذا ما جاء في النص الذي حققته الباحثة (هدى) ، في حين كان النص نفسه في تحقيق السيد (شوابكة) ما عدا اضافة كلمة (بابه) « وانفراج بابه الموصد بمنّه وكرمه » . [تنظر : خطبة الكتاب في الدراسة الاولى (ص ١٣) ، وفي الدراسة الثانية : ص ١٤٩] . اما بالنسبة الى الهوامش فاننا لا يمكننا ان ننكر ان هوامش السيد شوابكة قد اتسمت بغزارة الشروح ، والتنبيهات والاحالات ، في حين ان السيدة (هدى) قد التزمت منذ البداية بالترجمة لاصحاب التراجم الرئيسة ، فضلاً عن اختصارها لها .

ومثل ذلك يقال عن الفهارس اذ انفرد (شوابكة) باضافة فهرس الاماكن والقبائل ، اللذين خلت منهما دراسة الباحثة هدى .

اننا مع اعترافنا بغزارة المادة التي تضمنتها دراسة الباحث الاردني ، التي كانت تحمل عنوان « مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس » دراسة وتحقيق ، التي بلغت اربعمائة واربعاً وستين صفحة ، غير ان ذلك لا يقدح بذلك الايجاز (غير المخل) الذي اتسم به منهج السيدة هدى ، لانها اصلاً لم تضع عنوان « تحقيق ودراسة » على غلاف مطبوعها الذي بلغت صفحاته مائتين وثماني وخمسين . وعلى الرغم من هذه الميزة ، فإن ذلك لا يعد مسوغاً يتجاوز حقوق الاخرين ، وغمط جهودهم ، في عدم الاشارة الى انهم قد سلكوا طريقاً وعراً ، مهدوا للاحقين ان يظهروا دراسات تتسم بالشمول والتوسع والاطناب على اساس ما يعدوه من نقص هنا وهناك ، يتجاوزونه دون ان يكلفوا انفسهم عناء كتابة اسطر يفصحون من خلالها عمن كتب في الموضوع نفسه .